٣

العلاقة بين دولة الصليحيين والخلافة الفاطمية

الدكتور محمد أمين صـــالح
استاذ التاريخ الاسلامى المساعد
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

اذا كان عهد المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٧ــ٤٨٧ / ١٠٣٦ــ١٠٩٤، قد شهد ضياع بعض أملاك الفاطميين بالشام ، بجانب ضـــعف سلطان الخليفة ذاته بالقاهرة وبدء عهد الوزراء العظام ، فانه قد شهد اكتساب ارض جديدة للنفوذ الفاطمى واعنى بها اليمن .

ولم تأت تبعية اليمن للخلافة الفاطمية عن طريق الغزو العسكرى وفرض السيادة كما حدث فى الشام ، بل جاءت بجهود الدعاة الذين ظلوا يتولون واحدا بعد الآخر أمر الدعوة الاسماعيلية باليمن وبطريقة سرية بعد تدهورها الشنيع منذ أوائل القرن الرابع الهجرى ســـواء بانشقاق على ابن الفضل احد دعاتها ، أو بضعف أهل مسور بعد وفاة ابن جوشب كما عرضنا فى بحث سابق (١) . فاستمر الدعاة على اتصال بالخلفاءالفاطميين بالمغرب ثم بمصر يرسلون اليهم هـــدايا وأموال أتباعهم ، ويطبقون مبادىء الدعوة فيما بينهم الى أن تولاها على بن محمد الصليحى فنهضت على يديه من جديد .

ولسنا بسبيل دراسة تاريخ الدولة الصليحية ذاتها قدر التركيز على العلاقات بين هذهالدولة الناشئة والخلافة الفاطمية . ولدينا وثائق معاصرة هى رسائل الخلفـــاء الفاطميين الى الحكام الصليحيين . تعرف باســـم السجلات المستنصرية ، عبارة عن ٦٦ ســـجلا منقولة عن الأصل الذى أرسل من ديوان الانشاء بالقاهرة الى حكام اليمن . نشرها وعلق عليهـــا الاستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد بعنوان « سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا

الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، الى دعاة اليمن وغيرهم . قدس الله أرواح جميع المؤمنين » . وتتضمن هذه السجلات سياسة الفاطميين باليمن وانحاء الجزيرة العربية ، فضلا عن تناولها الأحداث السياسية فى كل من مصر واليمن . ونستطيع على هديها بجانب غيرها من المصادر تتبع العلاقات بين مصر واليمن في هذه الفترة الهامة من تاريخ البلدين .

فقد بدأ على بن محمد الصليحى الدور العملى للدعوة منذ أن احتل مع جماعة من اتباعه حالفوه على الموت جبل مسار أعلى ذروة فى جبال حراز عام ١٠٤٧/٤٣٩ . ولم يلبث أن جاءه مجيبو الدعوة من مختلفانحاء اليمن خاض بهم معارك ظافرة الى ان سيطر على جميع اليمن سهلهوجبله من مكة الى حضرموت جنوبا آخر عام ١٠٦٤/٤٥٥ (٢) .

وداب على بن محمد الصليحى على الكتابة بأخباره اولا بأول الى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى بمصر ، فيأذن له بالجهر بالدعوة أو غزو تهامة ، ويبعث له الرايات والألوية . كما كان الصليحى يرسل الهدايا الى دار الخلافة . ففى عام ١٠٤٧/٤٣٩ أرسل الصليحى هدية تشمل سبعين سيفا ذات مقابض من عقيق (٣) . وهدية أخرى عظيمة القدر عام ١٠٦٢/٤٥٤ لم يسمع بمثلها وفيها فنون كثيرة من الذهب والفضةوالسلاح والوشى والمسك والعنبر والكافور والعود الهندى الرطب ، والأستاذين والجوارى،وكثير منالأمتعة يبعد حصرها ويعظم أمرها(٤).كذلك كانالخليفة المستنصر يكتب بأخبار دولته الى الصليحى أمير اليمن . ففى صفر ٤٥٢/ مارس ١٠٦٠ أخبره بولادة أبنه ابى القاسم أحمد كى يذيع هذا النبأ فى انحاء اليمن (٥) . كما أخبره فى رمضان ١٠٦٢/٤٥٤ بأحداث انقلاب المعز ابن باديس الصنهاجى بأفريقية على الخلافة وكيفية التغلب عليه (٦) . كذلك كان المستنصر الفاطمى يرسل اليه رايات الخلافة والويتها وملابسه الخاصة كبركة له ولأولاده ، ويكتب لهم تعويذات ويدعو لهم (٧) . ويرسل ايضا اللحوم مقددة فتفرق من وزن نصف درهم الى ربع درهم على سبيل البركة (٨) .

وكان على بن محمد الصليحى المساعد الأيمن للخلافة الفاطمية للاحتفاظ بنفوذها فى منطقة الحجاز . صحيح أنه دعى للخليفة المعز لدين الله الفاطمى على منابر الحرمين منذ عام ٩٦٨/٣٥٨ (٩) ، الا أن الأشراف الحكام المحليين بمكة المكرمة والمدينة المنورة كانوا أحيانا يقطعون الخطبة للفاطميين ويدعون للعباسيين . ففى عام ٤٥٤ / ١٠٦٢ مثلا انتزع الشريف محمد بن جعفر من الهواشم حكم مكة من يدى بنى سليمان ودعا للخليفة القائم العباسى (١٠) ولجأ بنو سليمان الى اليمن ومعهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح الذهب من الباب والميذاب (١١) . فكان أن عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى الصليحى داعيته والحاكم فى اليمن بمهمة اعادة النفوذ الفاطمى الى الحجاز . ويشيد المؤرخون (١٢) بما قام به الصليحى من أعمال طيبة فى مكة عام ٤٥٥ هـ . بدأ بكسوة الكعبة بثياب بيض ، ورد أمتعة الكعبة بعد أن اشتراها من بنى سليمان . وفضلا عن نجاحه فى اعادة النفوذ الفاطمى بالحجاز ، فانه اظهر العدل فى الأهالى برفع ظلم من تقدم من الأشراف الحكام ، والاحسان بما وزعه عليهم من الأموال وفرقه من الأقوات ، كما ادب القبائل التى كانت تعتدى على الحجاج . وهكذا استمال الصليحى أهل الحجاز وطابت قلوبهم له كما رخصت الأسعار وساد الأمن والطمأنينة .

وعاد الصليحى الى اليمن فى ربيع الآخر ١٠٦٣/٤٥٥ مواصلا مراسلة الخليفة الفاطمى الذى أرسل يشكره على افعاله الحميدة ويبدى ارتياحه للخدمات الجليلة التى قام بها فى سبيل اقامة الدعوة له وتوطيد نفوذه فى بلاد اليمن والحجاز ، وانعم عليه بلقب « عمدة الخلافة » علاوة على القابه الأخرى (١٣) .

هذا وقد رغب الصليحى وقد صار له هذا الملك الكبير من مكة الى حضرموت ، أن يجعل الحكم وراثيا فى أسرته وكان له من الأولاد ثلاثة ، واثقا من رضاء الخلافة الفاطمية عليه . فطلب عام ٤٥٦ / ١٠٦٤ عقد ولاية العهد لابنه الأكبر محمد فوافق الخليفة ولقبه بالأمير الأغر يدعى له به على المنابر بعد والده وأرسل سجلا بهذه التولية (١٤) . لكن محمدا توفى بالجدري فى حياة أبيه ، فكتب الخليفة رسالتين فى ربيع الأول

٤٥٨ / فبراير ١٠٦٥ الأولى الى الصليحى يعزيه فى وفاة ولده ، ويجعل ولاية عهده لابنه الأوسط « وهو اليوم الأكبر » . والثانية الى الأمير المكرم احمد بتقليده ولاية العهد (١٥) .

كذلك أراد الصليحى الذهاب الى القاهرة والحظوة بلقاء الخليفة المستنصر بالله الفاطمى . فأرسل وفدا برئاسة القاضى عمران بن الفضل برسالة يستأذن فيها بالقدوم . فعاد الجواب فى ربيع الأول ٤٥٩هـ بأن امير المؤمنين يود ذلك ويهواه الا انه يرجح مقامه خشية الكدح والتعب ، وخوفا من اضطراب الأحوال فى دولته وقت غيابه ويقول « والذى تأمل بلوغه براى العين ، فانك بالغه والحمد لله برؤية القلب ، ونائله من امام زمانك على ظهر الغيب » (١٦) .

وكان الصليحى قد ذكر فى رسالته السابقة شيئا عن سوء الأحوال فى مكة ، ويطلب الاذن لاصلاح الفساد فى البلد الأمين . ولم يعترض الخليفة على هذا الطلب وان أوصاه « بتأليف القلوب وتجنب سورة الحروب » (١٧) .

خرج الصليحى من صنعاء فى الموسم ومعه أخوه عبد الله وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، مستخلفا ابنه المكرم أحمد فى الحكم ، ومستصحبا معه أمراء اليمن خوفا من تآمرهم أثناء غيبته ، غير أن الصليحى لم يكمل طريقه الى مكة اذ قتل هو وأخوه واهله ، واسرت زوجته ، فى كمين أعد له فى الطريق عند مدينة الكدراء بتهامة فى ذى القعدة ٤٥٩ / أكتوبر ١٠٦٧ (١٨) .

وكانت وفاة الصليحى خسارة كبيرة للفاطميين ، وتقديرا لخدماته واقرارا بوجود ولى عهده المكرم احمد فى حكم اليمن ، بعث المستنصر الفاطمى اليه برسالة عبر فيها عن اسفه لوفاة والده ، ويجمع اليه أمر الدعوة أيضا بعده (١٩) .

نخلص مما تقدم الى ماكانت عليه العلاقات من مودة وتعاون بين مصر واليمن على عهد على بن محمد الصليحى الداعى الفاطمى وأمير اليمن . والنتيجة أن الخلافة الفاطمية فى هذه المرة الثانية التى عاد فيها

اليمن الى نفوذها تلافت خطأها السابق بفصل أمر الدولة عن الدعوة كما حدث من قبل بعد وفاة ابن حوشب ، انما جمعت بينهما وجعلتهما بالوراثة في بيت علي بن محمد الصليحي . فاستقرت تبعية اليمن للخلافة الفاطمية نحو قرن من الزمان . فهي تبعية روحية سياسية تتمثل في الدعاء باسم الخليفة الفاطمي في خطبة الجمعة ، واقامة شعائر الشيعة الاسماعيلية، ثم ارسال الأموال والهدايا السنوية دون تدخل مباشر من جانب الفاطميين في حكم اليمن. ولعل هذا يعطي نموذجا طيبا للعلاقة بين السلطة المركزية والسلطات المحليـــة في الأقاليم التابعة لها ، دون محاولة فرض السيادة اي الحكم المباشر أو التدخل في الشئون الداخلية في وقت نضجت فيـــه الروح الاقليمية فيسائر جهات العالم الاسلامي. فتجنبت الخلافة الفاطمية مشاكل الحركات الانفصـــالية أو الثورات من جانب القوى المحليـــة كما نراها في الشـــام . وانما توثقت العـــلاقات بين مصر واليمن على عهود المـــكرم احمد بن علي الصليحي وزوجته ســـيدة بنت احمد ، والخلفـــاء الفاطميين بمصر : المستنصر فالمستعلي ثم الآمر . وسارت على منوالها السابق ونراها في وجوه عدة .

فقد واجه المـــكرم أحمد بعد مقتل أبيه انقـــلابات خطيرة من جانب رجالات اليمن ، علاوة على وجود أمه السيدة أسماء بنت شهاب في أسر بني نجاح في زبيد . وأبدى المـــكرم في بداية أمره شجاعة فائقة سواء في انقاذ أمه من الأسر ، أو في استعادة ملك أبيـــه الســـابق في أنحاء اليمن . ثم رأى الاعتكاف . فكان أن فوض أمور الدولة الى زوجته سيدة بنت أحمد التي طلبت بدورها أن تسعفه من نفسها بقولها : « ان امرأة تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر . فدعني وما أنا بصدده » . كما نقلت عاصمة الدولة الصليحية من صنعاء الى ذي جبلة (٢٠) .

ولم تتدخل الخلافة الفاطمية في هذه الشئون الداخلية انما نجـــد الخليفة المستنصر بالله يستمر في تشجيع المـــكرم أحمد لمواجهة مشاكله، ويرسل اليه الشعارات والتشاريف ، وملابسه الخاصة على سبيل البركة كما فعل مع أبيه من قبل ، ويمنحه الألقاب التي فاقت القاب أبيه (٢١). كما يمنح زوجته سيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي الألقـــاب منها : السيدة ، الحرة ، السديدة ، المـــكينة ، ذخيرة الدين ، عمـــدة

المؤمنين ، كهف المستجيبين ، صنيعة امير المؤمنين (٢٢) . ثم يخاطب السيدة الحرة راسا بعد تفويضها بالحكم ويبين لها وسائل الحكم المثالية(٢٣) ويعتبرها مثالا أعلا للمرأة لتقلدها قلائد التقوى ولكفاءتها فى ادارة شئون البلاد ويقظتها فى امور الدعوة . كما كان يرسل اليها برأيه فى الأمور ويطالبها بأن تسلك مسلك والدة المكرم السيدة اسماء بنت شهاب (٢٤). كذلك كانت ام الخليفة المستنصر تراسل السيدة الحرة وتخاطبها بقولها : « فاقمت للسياسة عمادها ، وسلمت اليك الكافة قيادها » (٢٥) .

واستمرت الخلافة الفاطمية فى مراسلة المكرم أحمد وزوجته السيدة الحرة بالأحداث الجارية بمصر فقد احيط المكرم علما بتقليد بدر الدين الجمالى منصب وزارة التفويض بالقاهرة . واشار المستنصر بالله فى خطابه المؤرخ فى ذى القعدة ٤٧٠ / يونية ١٠٧٨ الى الخدمات العظيمة التى بذلها بدر الجمالى لتوطيد نفوذ الخلافة . كما طلب المستنصر بالله من المكرم الرجوع الى بدر الجمالى فى كل مايخص أمور الدعوة(٢٦) وخطاب آخر الى السيدة الحرة يشيد بذكر هذا الوزير وتقلده زمام الدعوة (٢٧) والواقع أن بدر الجمالى انقذ دولة المستنصر من الأخطار الداخلية بمصر ، وأعاد لها بعض سيادتها فى الشام . ونجد السجلات تؤيد بدرا حين يأمر المستنصر ملكة اليمن بقطع رؤوس أعداء بدر الذين هربوا من مصر الى اليمن (٢٨) .

كذلك عهدت الخلافة الفاطمية الى المكرم احمد ثم الىزوجته السيدة الحرة امور الدعوة الفاطمية ليس فقط فى الحجاز واليمن بل فى عمان والهند أيضا . فهناك سجل صادر فى ربيع الثانى ٤٦٩ / ١٠٧٦ بتقليد المكرم أمر الدعوة فى عمان مطلقا يده للتصرف فى أمر الدعوة هناك (٢٩) . كما كان اليمن الصلة بين الدعاة واتباع الدعوة بالهند وبين الخلافة الفاطمية بمصر . فكان بيد المكرم ثم زوجته السيدة الحرة رئاسة الدعوة هناك . ويصدر مرسوم الخليفة بالموافقة على من يرشحه كلاهما لتولىالدعوة هناك (٣٠). وتنوه الخلافة بالثقة فىالمجهودات التى تقوم بها السيدة الحرة فى سبيل نشر الدعوة فى كل من اليمنوعمان والهند (٣١) . وبذلك ارتفع شأن الدعوة الفاطمية فى بعض جهاتالجزيرة

العربيـــة والهنـــد على يد الصليحيين الذين ارتفع نفوذهم الروحي في تلك المنـــاطق .

ثم توفي المـــكرم أحمد عام ٤٨٠ / ١٠٨٧ (٣٢) كي تثور المشاكل أمام السيدة الحرة فتلقي التأييد التـــام من جانب الخلافة الفاطمية . وماحدث أن المـــكرم أحمد قبيل وفاته أوصي بالحكم الى زوجته (٣٣) وبأمور الدعوة الى ابن عمه سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى (٣٤) . نجـــد أن السيدة الحرة الملكة أرادت أن تجعل أمر الدعوة الى ولدها عبـــد المستنصر حتى تظل هى المسيطرة على شئون اليمن جميعا كما كان على عهد زوجها . لذلك أرسلت الى الخليفة المستنصر الفاطمى تخبره بوفاة زوجهـــا المكرم، وتلتمس الموافقة على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه ، ورأى الخليفة بدوره أن تستمر الدعوة فى بيت على بن محمـــد الصليحى ، علاوة على مارآه فى السيدة الحرة من القوة والكفاية . فبعث الخليفة الى الســـيدة الحرة يعزيها فى وفاة زوجها ويثنى على وفائها للدعوة (٣٥) . كما أصدر مرسوما بتعيين ابنها عبد المستنصر أمر الدعوة باليمن خلفا لأبيه .وأرسل اليه كالعادة الألوية والملابس الخاصة (٣٦) .

غير أن هذه التولية لقيت المعارضة من بعض رجال اليمن وخاصة سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى بدعوى صغر سن عبد المستنصر .. وتمسكت الحرة الملكة بسلطانها وأيدها الزواحيون وعلى رأسهم سليمان ابن عامر بن عبد الله الزواحى .. وهو أخوها لأمها (٣٧) . وقلقت الخلافة الفاطميـــة على نفوذهـــا فى اليمن من جراء هذا النزاع بين الصليحيين والزواحيين . فأرسل اليهم يطلب انهاء هذا الخلاف واطاعة السيدة الحرة وابنها عبد المستنصر ، كما ناشدهم الاتحاد مقدرا الخدمات التى قام بها كل من الصليحى والمـــكرم والسيدة الحرة (٣٨) كما بعث الى السيدة الحرة يقول انه ينظر الى هذا النزاع بشىء من القلق ويطلب اليها السعى فى الصلح بين الفريقين (٣٩) . وهو فى نفس الوقت يؤيد عبـــد المستنصر باعتباره « سليل الدعوة ونجلها » ويرد على الاعتراض على تقليده لصغر سنه بالقول : « لأن الله تعالى فوض لأمير المؤمنين الخلافة وسنه دون الثمان سنين ، وقد أجاز هذا فى الامامة وهى الدرجة التى تلى النبوة ، »

فكيف الدعوة التى لأمير المؤمنين ان يتصرف فيها علىاختياره ويفوضها الى من يرتضيه ويختاره » (٤٠) .

ونجح هذا الدعم الفاطمى فى ابقـاء أمر الدعوة والدولة فى بيت على بن محمد الصليحى باستجابة المعترضين . واعلن الخليفـة سروره لزوال هذا الخلاف والصلح بين سبأ بن أحمد بنالمظفر الصليحى وسليمان ابن عامر الزواحى (٤١) . ومع كل فلم يعمر عبد المستنصر طويلا اذ توفى بعد قليل ليتجدد النزاع ثانية .

فقد تطلع سبأ بن احمد هـذه المرة الى الزواج من السيدة الحرة الملـكة فيكون له أمر الدولة والدعوة باليمن . وقدم سبأ بن احمد من حصن اشيح مقره الى ذى جبله . غير أن الملـكة رفضت عرض الزواج وساندها اخوها سليمان بن عامر الزواحى هذه المرة ايضا وحشـد آل الزواحى . وهكذا وقف الصليحيون والزواحيون للقتال ثانية الى أن وافق سبأ بن احمد على اقتراح غريمه سليمان بن عامر باسـتئذان الخليفـة الفاطمى فى أمر هذا الزواج بقوله : « والله لا اجبتك الى ماتريد الا بأمر المستنصر بالله » (٤٢) .

وهكذا عاد سـبأ بن احمد الى حصنه أشيح كى يبعث رجلين الى القاهرة هما : القاضى حسين بن اسماعيل الأصـبهانى وأبو عبـد الله الطيب ، ومعهما رسالة يرجو فيها الخليفة التوسط بشأن هذا الزواج(٤٣) فأعادهما المستنصر مع مبعوث من قبله برسالة شفوية ، واستقبلتالملكة الحرة هؤلاء الرجال بدار العز فى ذى جبله وحولها وزراؤها وكتابها وأهل دولتها . واستمعت الى مبعوث الخليفة يقول : « أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ،سيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام ، ذخيرة الدين وعصمة المسترشدين ، كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، كافلة أوليائه الميامين » ثم يذكر بعد هذه الألقاب قول الله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى اللهورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ويعقب ذلك برأى الخليفة بقوله : « وقد زوجكمولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد ، المنصور ، المظفر ، عمدة الخـلافة ، أمير

الأمراء أبى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى على ماحضر من المـــال . وهو مائة الف دينـــار عينا ، وخمسون الفا أصنافا منتحف والطاف وطيبوكساوى » . عند ذلكأجابت السيدة الحرة الملكة مستشهدة أيضا ببعض آى الذكر الحكيم : « أما كتاب مولانا صلوات الله عليه وأمره فأقول فيه انى القى الى كتـــاب كريم (انه من سليمان . وانه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا على واتونى مسلمين) . والتفتت الىالحاضرين تقول (يا أيها الملأ افتونى فى أمرى ، ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) وأما أنت يا ابن الأصبهانى فوالله ماجئت الى مولانا من سبأ بنبأ يقين . ولقد حرفتم القول عن موضعه وسولت لـــكم أنفسكم أمرا فصـــبر جميل والله المستعان على ماتصفون » (٤٤) .

وعندما أنهت حديثها تقدم اليها وزيرها زريع بن أبى الفتح والقاضى الحسين بن اسماعيل الأصبهانى وبعض رجال دولتها يحسنون لها هـــذا الزواج ويرجون حتى قبلت وأجابت الى العقـــد (٤٥) ومع كل فان الحرة الملكة لم تمكن زوجها الداعى سبأ بن أحمد بن المظفر لا من نفسها ولا من أمور الدولة بل ظلت هى تمارس السلطة مع دوام الصـــلة والصـــداقة المباشرة مع الخلافة الفاطمية بمصر .

وبالتالى وقفت اليمن بجانب مشكلات الخـــلافة بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمى ١٢ ذى الحجة ٤٨٧ / ٢٣ ديسمبر ١٠٩٤ وأبرزها مشكلة الوراثة فى الامامة التى فتحت انشقاقا فى الاماميـــة الاسماعيليـــة بين النزارية والمستعلية أتبـــاع كل من نزار والمستعلى ولدى المستنصر .فمن المعروف أن ولاية العهد لدى الفاطميين ليست بالتعيين والبيعـــة كما هو الحال فى الخلافة العباسية ، وانما تتم بالنص أو التنصيص كون الامام ينص على من يخلفه . وهذا النص قد يكون تحريريا بوصية ، أو شفويا وهو الغالب ، أو حتى بالتلميح (٤٦) . ويذكر كثير من المؤرخين انالمستنصر الفاطمى نص على امامة ابنـــه الأكبر نزار من بعده (٤٧) . غير أن الأفضل ابن بدر الدين الجمالى الذى خلف أباه فى وزارة التفويض عمل علىاقصاء نزار عن الامامة ، وتولية أخيه الأصغر أبى القاسم احمـــد الـــذى لقب بالمستعلى بالله (٤٨) . فنقل بذلك الامامة من أخ الى أخ بينما هى تكون فى الأعقاب حسب العقيدة الاسماعيلية . وهى المشكلة التى ســـنعرض الى أسبابها ونتائجها فيما بعد .

والمهم الآن ذكره أن السيدة الحرة الملكة وقفت بجانب المستعلى الذى ولى الخلافة ، وأرسل لها سجلا مؤرخا فى صفر ٤٨٩ / فبراير ١٠٩٧ تضمن وصفا لثورة أخيه نزار بالاسكندرية ، وكيف تغلب وزيره الأفضل عليها نهائيا (٤٩) . كما وصلها أيضا رسالة من والدة هذا الخليفة بنفس المعنى (٥٠) . وبهذه الصلة المباشرة ، وبفضل قوة شخصية الحرة الملكة لم تتأثر اليمن بهذا النزاع ، ووقفت الاسماعيلية باليمن الى جانب المستعلى واقامت له الدعوة أو الخطبة ثم لابنه الآمر من بعده .

وفى بداية القرن السادس الهجرى تعرضت السيدة الحرة الملكة الى تجرؤ بعض رجالاتها من خولان خاصة بعد وفاة زوجها الداعى سبأ ابن أحمد بن المظفر الصليحي عام ٤٩٥ / ١١٠١ ثم وفاة رجلها المفضل ابن أبى البركات والى التعكر عام ٥٠٤ / ١١١٠ — ١١١١ . فقد دبر الأخوان عمران وسليمان ابنا المسلم بن الزر من بنى مران من خولان (٥١) أمر الاستيلاء على حصن التعكر فى ربيع الأول ٥٠٩ / اغسطس ١١١٥ . ورغم أنهما واصلا بذل الطاعة والخدمة للحرة الملكة الا انها لم تكن راضية عن هذا العمل الذى تم دون ارادتها ، ثم انها كانت بعيدة النظر والذكاء فهى لم تجاهر خولان بالعداء ، انما كانت تسلط عليهم بعض العرب لأسر رجال بنى الزر وتبدو هى مظهر فى الحكم فيما بينهم (٥٢) .

وعاصر تلك الأحداث أيضا امتناع آل زريع حكام عدن عن دفع قيمة الربع من خراج عدن ، وهو ماتبقى لها من حق سابق فى جملة هذا الخراج . فقد كان هذا الخراج بأكمله . يصل الى الحرة الملكة كصداق منذ زواجها من المكرم احمد ، تعهد به العباس ومسعود ابنا الكرم اليامى الهمدانى حاكما عدن من قبل على بن محمد الصليحى واستحلفهما على ذلك (٥٣) . ووفى زريع بن العباس بعد وفاة أبيه مع عمه مسعود بدفع حوالى مائة الف دينار سنويا للحرة الملكة الى أن قتل هذان الرجلان عند زبيد عام ٤٨٥ / ١٠٩٢ فى معركة مع بنى نجاح (٥٤) . فامتنع ولداهما بعدن أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود عن دفع ذلك الخراج فوجهت الحرة الملكة اليهما المفضل بن أبى البركات ودار القتال الى أن تم الصلح على دفع قيمة النصف فقط من هذا الخراج (٥٥) . ثم عادا الى قطع

هذا النصف بعد وفاة المفضل بن أبى البركات فتولى ابن عمه أسعد بن أبى الفتوح قتالهما وتم الصلح على قدر الربع فقط وهو ما امتنع آل زريع عن دفعه الآن أثناء انقلاب بنى الزر فى التعكر (٥٦) .

تلك أهم المشاكل الداخلية التى واجهت الحرة الملكة علاوة على طمع أهل اليمن فى أطراف بلادها ، وانتشار الفساد وغلاء الأسعار (٥٧) . وكان على الخلافة الفاطمية ضرورة مساندتها فى هذه الفترة العصيبة بارسال أحد رجالها الى اليمن وهو على بن ابراهيم بن نجيب الدولة داعيا وعونا للحرة الملكة ضد منافسيها وأعدائها . وكان هذا التدخل المباشر من جانب الخلافة الفاطمية بداية المشاكل التى انتهت بزوال النفوذ الفاطمى من اليمن .

قدم ابن نجيب الدولة ومعه عشرون فارسا مختارا الى ذى جبله عام ٥١٣ / ١١١٥ « فتركته السيدة الحرة على بابها حافظا لها » (٥٨) . ثم بدأ التحرش بخولان بأن قبض على أحد كبارهم ويدعى سليمان بن عبيد، وضربه بالعصى حتى أحدث فى ثيابه . فزحفت خولان الى ذى جبلة وكاد يحدث مالا يحمد عقباه لولا تدخل أحمد بن سليمان الزواحى ، ابى أخى الحرة ، فأخذ الخولانى من ابن نجيب الدولة وأعاده الى قومه معززا مكرما . فهدأت خولان (٥٩) . اذ لم تكن خولان عاصية انما كانت تطمع أن يصير لها ملكا فى طاعة الحرة الملكة . ومع ذلك فقد حارب ابن نجيب الدولة بعد ذلك بنى الزر فى خدد ثم تهادنوا (٦٠) .

وكان على ابن نجيب الدولة التعاون مع الحرة الملكة فى ميادين أخرى فقام بواجبه فى خدمتها بغزو أهل الأطراف مثل وادى ميتم شرق ذى جبلة، وأهل السهلة فى جبل الشوانى « فأمنت البلاد ورخصت الأسعار وانكف الدعار » (٦١) . ثم هو نفسه كان رجلا شهما عاقلا حسن التدبير (٦٢) « فامتنع عن أموال الناس وانما عدل فيهم وأقام الحدود » (٦٣) .

هذا وقد استخدم ابن نجيب الدولة قوة محلية من ٣٠٠ فارس من بعض مذحج وهمدان على رأسهم الطوق الهمدانى قمع بها أهل الأطراف وأعاد هيبة وسلطان الحرة الملكة (٦٤) . ولم يلبث أن عز جانبه بما جاءه من المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر الفاطمى عام ٥١٥ / ١١٢١

من تفويض بالتصرف ، بالاضافة الى قوة عسكرية من الأرمن والسودان. فاتخذ مدينة الجند مقرا (٥٦) ليغزو منها زبيد وعدن .

نجد أن ابن نجيب الدولة تعرض للهزيمة فى قتال بنى نجـاح أمام زبيد عام ٥١٨ / ١١٢٤ ، وفى قتـال آل زريع عند الجؤة (٦٦) وبالتالى فشل فى فتح زبيد أمام الدعوة ، وفى استعادة الربع المتبقى للحرة الملكة من خراج عدن . وتأكد بذلك استقلال عدن الى سلطان الصليحيين .

ويبدو أن شيئا من سوء التفاهم قد ظهر عام ٥١٩ / ١١٢٥ بين الحرة الملـكة والـداعى المصرى الذى قال عنها أنهـا قـد خرفت وتسـتحق الحجر (٦٧) ، أو أنها لا تصلح لتـدبير الملك (٦٨) . فى الوقت الذى ثقلت فيه وطأة هـذا الداعى الوافـد على رجالات اليمن من أمثـال سليمان وعمـران ابنى الزر من خولان ، والمنصـور بن المفضل بن أبى البركات الحميرى ، وأيضـا آل زريع من همـدان . فانتهز هؤلاء فرصـة هـذا التجافى ، واستأذنوا الحرة الملـكة فى حصار ابن نجيب الدولة ومن معه من فرسان همدان بالجند . فأذنت لهم وهى تريد أن تلقن هـذا الداعى المصرى درسا ترد به أعتبارها فى نظره دون الوصول الى حد معاداته . ذلك انه لمـا اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة بالجند ، أخرجت الحرة الملـكة قـدر عشرة آلاف دينـار مصرية ووزعتها على وجوه القبائل ، واشاعت بين رجالهم أنها من ابن نجيب الدولة . فطلبوا بدورهم الأموال من رؤسائهم فماطلوهم وارتحلوا عنهم . وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رئيس فانفضوا عن الجند . « وقيل لابن نجيب الدولة هذا تدبير الذى قلت أنها قـد خرفت فركب اليها الى ذى جبلة وتنصل واعتذر » (٦٩) .

وبالرغم من تعاون الحرة الملكة وهذا الداعى الوافد ونجاحهما فى اقرار النفوذ الفاطمى باليمن ، فان ابن نجيب الدولة لقى نهاية سيئة . ذلك أن رجالات اليمن كانوا يحقدون عليه ويدبرون أمر الخلاص منه وحانت الفرصة عندما جاء اليمن مبعوث من قبل المأمون البطائحى وزير الخليفـة الآمر عرف بالأمير الكذاب فنظر اليه ابن نجيب الدولة كمنافس له فلميعبأ به وغض من شأنه . فكان أن التف حوله هؤلاء النـاقمون واسـتمالوه بالهـدايا للتخلص من عدوهم المشترك . فأوعز اليهم بمؤامرة من شقين.

أولها كما قال : أكتبوا على يدى الى مولانا الآمر كتبا تذكرون فيهـــا أنه يدعوكم الى نزار ويراودكم عن ذلك فامتنعتم . وثانيا : ان اضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها الى مولانا الآمر بأحكام الله . ونفذ الطلبان . وعاد المبعوث بالـــكتب والسكة الى الخليفة بالقاهرة فأصدر هذا أمره بالقبض على ابن نجيب الدولة ، وسير من يدعى الموفق بن الخيـــاط فى قوة من مائة فارس لاعتقال ابن نجيب الدولة .

وسبقت الأخبـــار بمقدم ابن الخياط . فواجه الداعى موقفا صعبا بين الاستسلام أو الهروب . فكان يقول : (داع لا ينافق والموت أصلح له من النفاق) . ومع كل نراه يغادر الجند مقره الى بلاد بنى زبيد وهو فى قمة هذا الصراع النفسى لهذا يستجيب سريعا لاســـتدعاء الحرة الملـــكة له . اذ كانت الملـــكة قـــد سيرت فى اثره من يستدعيه اليها بعـــد أن نصحها أعداء الداعى بأن تحتفظ به لأن الامام لا يطلبه الا منها . ولم تكن الملـــكة تريد تسليم ابن نجيب الدولة وان احتاطت وأبقته فى قصرها بذى جبلة ، وامتنعت عن تسليمه الى مبعوث الخليفة قائلة : أنت حامل كتاب فخذ جوابه ، والا فاقعد حتى أكتب الى مولانا ويعود الجواب .

ولم يكن المتآمرون يسكتون أو يرضون عن موقف الحرة الملكة وهم على وشك التخلص من عدوهم ، فكان أن اغروا أحد خلصاء الملكة (٧٠) لتخويفها سوء السمعة النزارية واشاعة ذلك عنها . وتعرضت الملـــكة لضغط شديد واضطرت الى تسليم ابن نجيب الدولة بعد أن استوثقت له من ابن الخياط بأربعين يمينا . ثم هى لم تكتف بذلك بل أوفـــدت كاتبها محمد بن الأزدى بهـــــدية (٧١) وكتاب تشفع فيـــه لابن نجيب الـــدولة لدى الخليفـــة .

غير أن المتآمرين فوتوا على الحرة الملـــكة محاولة انقـــاذ الداعى المصرى . فكان أن أحاطوا به بعد خروجه من ذى جبلة وقيدوه بالحديد وتشفوا فيـــه بالاهانة والشتيمة ، ثم سفروه فى البحر من عـــدن الى مصر . أما مبعوث الحرة الملكة فقد أخروا ابحاره مدة خمسة عشر يوما كما دبروا عملية أغراقه بالمركب المتوجهة به الى مصر (٧٢) . فلم تصـــل

شفاعتها فى ابن نجيب الدولة اسماع الخليفة الذى أمر بقتله عام ٥٢١ / ١١٢٧ (٧٣) .

ولا شك ان هذه الأحداث الأخيرة كانت صدمة قوية للحرة الملكة الا انها لم تغير موقفها من الخلافة الفاطمية بل ظلت تدعو للخليفة الآمر الذى بادلها ايضا التقدير والاجلال « ويرى انها من خيرة اعوانه » (٧٤). ودارت بينهما المكاتبات . فقد بشرها الخليفة بمولد ابن له فى ربيع الأول ٥٢٤ هـ سماه ابا القاسم الطيب ، وجعله ولى عهده ، كى تذيع هذا النبأ فى انحاء اليمن (٧٥) .

ولم يلبث ان قتل الخليفة الآمر بالقاهرة فى أواخر هذا العام ٥٢٤ / ١١٣٠ كى تثور مشكلة الوراثة مرة اخرى محدثة انشقاقا جديدا فى الفرقة المستعلية أو الاسماعيلية الغربية . وذلك بتولى عبد المجيد ابن عم الخليفة المقتول عرش الخلافة الفاطمية باعتباره اولا كفيلا انتظارا لحمل مرتقب ثم بويع بالخلافة وتلقب بالحافظ لدين الله . واستمرالصراع فى مصر حوالى سنتين الى أن استقرت الخلافة للحافظ . فما هو موقف اليمن من خلافة الحافظ ؟

نقرر منذ البداية أن الحرة الملكة رفضت الاعتراف بامامة الحافظ، فقد بعث اليها سجلا بداه بعبارة « من ولى عهد المسلمين » ثم سجلا ثانيا مبتدئا بعبارة « من امير المؤمنين » . ولم تكن الحرة الملكة راضية عن الطريقة التى وصل بها عبد المجيد الى عرش الخلافة (٧٦) فحسب ، انما هى تعتبر امامته باطلة . فالامامة كما نعرف تكون فىالأعقاب، وعبدالمجيد ليس من ابناء الامام السابق فهو ابن عمه . وكان الأمر واضحا أمامها . فهى على علم سابق بمولد ابى القاسم الطيب بن الآمر وولايته للعهد . ولذا اتخذت الملكة موقفا مخالفا لامامة القاهرة بالدعوة للطيب بن الآمر بقولها : « حسب بنى الصليحى ماعلموه من امر مولانا « الطيب » وولت الحرة ابراهيم بن الحسين الحامدى أمر الدعوة الطيبية (٧٧) فى دولتها .

ومعنى هذا أن الحرة الملكة اتخذت لنفسها منحى مستقلا عن الامامة فى مصر بالدعوة للامام الطيب متبعة ما تقوله الفرقة المستعلية . وعن طريق اليمن امتدت الدعوة المستعلية من قبل الى الهند التى كان للحرة

الملكة الاشراف على تعيين الدعاة بها (٧٨) . كذلك أرسلت تهدد هاشم بن فليته شريف مكة اذا لم يقطع الخطبة للحافظ ويدعو للطيب (٧٩) .

على أن الجدير بالذكر هو أن الدعوة الطيبية لم تسد اليمن . فقد رأينا من قبل استقلال آل زريع بعدن عن دولة الصليحيين ، ثم أخذت الآن موقفا جديدا ومغايرا بالنسبة للدعوة وذلك بقيام أميرها سبأ بن أبى السعود بن زريع بالدعوة للخليفة الحافظ (٨٠) . وبدأ عندئذ انقسام الدعوة فى اليمن بين الطيب والحافظ أو بين آل الصليحى وآل زريع .

ويبدو أن دولة الصليحيين وكذا الدعوة الطيبية كانت بسبيل الأفول بوفاة الحرة الملكة فى ذى جبلة فى شعبان ٥٣٢ / ١١٣٧ عن ٨٨ عاما . اذ لم يكن بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تتابع سياستها، انما آلت حصونهم (٨١) وذخائرهم الى المنصور بن المفضل بن أبى البركات الحاكم فى الجند والذى عجز عن الاحتفاظ بما لديه من ملك بالنسبة لارتفاع شأن آل زريع .

ذلك أن الداعى سبأ بن أبى السعود بن زريع توفى فى نفس عام وفاة الحرة الملكة ، فخلفه ابنه على الأعز بوصية سابقة ، واستقر بالدعوة . غير أنه كان مريضا بالسل فتوفى بعد عامين فتولى أخوه محمد حكم الدولة واستقر بعدن . وما لبث أن قدم من القاهرة القاضى الرشيد احمد بن الزبير يحمل أمر تقليد الدعوة للخليفة الحافظ الى على الأعز فوجده قد توفى . ولم يكن أمام المبعوث الفاطمى وبتشجيع من الوزير بلال بن جرير المحمدى سوى اقرار الأمر الواقع بتقليد الدعوة أخاه محمد ابن سبأ ولقبه « العظيم المتوج المكين » (٨٢) .

وهكذا ارتفع شأن آل زريع فى عدن يساندهم النفوذ الفاطمى الأمر الذى لم يتوفر للمنصور بن المفضل الحاكم فى بقايا ملك الصليحيين فى اليمن ، فآثر التنازل الى الداعى محمد بن سبأ والاستقرار فى حصنيه صبر وتعز نظير مبلغ من المال . وان ذكر المؤرخون (٨٣) أن الداعى محمد ابن سبأ اشترى من المنصور بن المفضل جميع مافى حوزته من معاقل الصليحيين وهى ٢٨ حصنا ومدينة منها ذى جبلة بمائة الف دينار عام ٥٤٧ / ١١٥٢ . واستقر الداعى محمد بن سبأ يحكم فى ذى جبلة عاصمة

الصليحيين سابقا ، ثم خلفه ابنـه الداعى عمـران عام ٥٤٨ / ١١٥٣ الذى كانت تدور المراسلات بينـه وبين طلائع بن رزيك وزير الخليفـة الفائز ثم العاضد آخر الخلفاء الفاطميين (٨٤) .

هذا وقد توفى الداعى عمران بن محمد بن سبأ بعدن عام ٥٦٠ / ٦٤-١١٦٥ وقد شهد ضياع ملـكه فى نجد اليمن الأسفل بسبب غزوات بنى مهدى حكام زبيد ، توفى عن ثلاثة أطفال نقلوا الى حصن الدملوةتحت كفالة جوهر المعظمى مولاه ونائبه فى هذا الحصن وظل ياسر بن بلال بن جرير على نيابته فى حكم عدن (٨٥) . فتوقفت أيضا الدعوة الفاطمية فى كل من عدن والدملوة دون سائر اليمن . وانتهت الخلافة الفاطمية ذاتها بالقاهرة عام ٥٦٧ / ١١٧١ على يد صلاح الدين الأيوبى قبل أن تفيقعدن بهزيمة بنى مهدى عام ٥٦٩ / ١١٧٣ . كما لم يلبث أن قدم الجيشالأيوبى اليمن ليبـدأ عهد جـديد فى تاريخ العلاقات بين مصر واليمن فى العصر الاسـلامى .

ومن ناحية اخرى نقول أن هذا الارتباط السياسى والمذهبى بين مصر واليمن ادى الى تعزيز العلاقات التجارية بينهما بدرجـة كبيرة متمثلة فى نشاط تجار الـكارم . وكأنما سـعى الفـاطميون الى توثيق العلاقات السياسية والمـذهبية مع اليمن وسـيلة لتأمين التجارة فى البحر الأحمر وتدعيم العلاقة التجارية مع عدن بخاصة باعتبارها مركز تجارة الهنـد والشرق الأقصى وادت التجارة دورها فى نشر الدعـوة الاسماعيلية فى المحيط الهندى على يد التجار الكارمية حتى أن اهالى الهنـد لم يكونوا يفرقون بين الدعاة الاسماعيلية والتجار . وكانوا يطلقون على الاسماعيلى منهم اسم « بوهرا » ومعنـاها تاجر البهار . ولا زال هذا الاسم علما على اتباع الاسماعيلية بالهند حتى اليوم .

ومن المعروف أن طريق البحر الأحمر عاد الى الازدهار للمرة الثانية فى العصر الاسـلامى منذ منتصف القرن الثالث الهجرى على حسـاب طريق الخليج ، بسبب ضعف الخلافة العباسية لسيطرة الأتراك عليهـا وتتذاك ، فضلا عن قيـام ثورات الزنج ثم القرامطة جنوبى العراق فعاد النشـاط الى ميناء عدن . واهتم حكام البـلاد المطلة على البحر الأحمر بتجارته لـما يعود عليهم بربح وفير سواء من حصيلة الرسوم الجمركية

على البضائع الشرقية أو المتاجرة فيها . نشاهد ذلك على عهد كل من الطولونيين والاخشيديين بمصر بامتداد نفوذهم الى الحجاز وبالتالى اليمن باقامة العلاقات التجارية مع الدولة الزيادية ثم دولة بنى نجاح فى زبيد. واستمرت هذه العلاقات التجارية حتى بلغت قمة ازدهارها فى العصر الفاطمى زمن الصليحيين ثم آل زريع باليمن .

ودائما تمدنا مصر بالوثائق التى هى فى منهج البحث التاريخى من المصادر الأولى فى كتابة التاريخ ، كما تعطينا التفاصيل الدقيقة بشكل غير متوفر فى المصادر الأدبية ولدينا مجموعة الوثائق العربية — اليهودية ، الناطقة باللسان العربى — المكتوبة بالخط العبرى ، المعروفة باسم وثائق الجنيزة . وهى عبارة عن خطابات متبادلة بين عدن وبلدان جنوب الجزيرة العربية ، وموانى البحر الأحمر وموانى الهند وبين القاهرة وبالعكس . أو بين عدن والهند وبالعكس ، أو بين بلدان الهند نفسها ، استخرج منها الباحثون الأجانب مجموعة خاصة بتجارة الهند عبر البحر الأحمر زمن الفاطميين والأيوبيين . وهى تعكس لنا مدى ازدياد النشاط التجارى مع الهند عبر البحر الأحمر فى هذه الفترة .

ولا يتسع المقام لدراسة العملية التجارية بتفاصيلها الدقيقة التى افصحت عنها تلك الوثائق ، انما يهمنا القول ان عدن كانت المركز الرئيسى للطريق الملاحى ترسو فيه سفن الكارمية فى ذهابها أو ايابها من الهند، الا اذا اضطرت الى المرور بها حسب أحوال البحر والرياح أو الظروف السياسية (٨٦) . ومن عدن كانت البضائع تنقل بالسفن الى الساحل الغربى للبحر الأحمر على الشاطىء المصرى حيث يوجد ميناء عيذاب ، ومنها كانت تنقل عبر الصحراء الشرقية الى قوص ، ثم تأخذ طريق النيل الى الفسطاط ، ويذكر المقريزى ان عيذاب زمن الفاطميين كانت من أعظم مراسى الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط بها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة (٨٧) وتبعا لازدهار عيذاب ازدهرت مدينة قوص وأصبحت فى العصر الفاطمى أهم أسواق مصر لكثرة الصادر والوارد عليها من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود والأحباش.

وظهر اهتمام الخلافة الفاطمية بتأمين الطريق البحرى التجارى مع

اليمن ، بتواجد اسطول حربى يتكون من خمس الى ثلاث قطع حربية قاعدته عيذاب ، ويتجول فى البحر فيما بين عيذاب وسواكن لضرب القراصنة الذين يتعرضون لسفن الكارم . واشرف على هذا الأسطول والى قوص ، وربما تولاه أمير من الباب يحمل اليه من خزائن السلاح مايكفيه (٨٨) ومع كل فهناك خطاب مرسل من حاكم دهلك يشير فيه الى أن مراكب الكارم لم تكن دائما بمنأى عن هجوم متجرمة البحر (٨٩) ، رغم تواجد الأسطول الفاطمى .

هذا الطريق البحرى بين مصر واليمن وبعبارة أدق عدن — عيذاب أو القصير ثم قوص فالفسطاط ، استخدمته السفارات الرسمية المتبادلة بين القطرين حاملة الرسائل والهدايا . كما استخدمه التجار من مختلف الجهات من مصر والمغرب والفرس والحضارمة والمقادشة والزيالع والحبوش ، ومن مختلف الأديان وبخاصة اليهود الذين كانوا يتجرون بأنفسهم أو وكلاء عنهم ، على سفنهم أو سفن غيرهم ، وهؤلاء جميعا تحولوا وصاروا أصحاب خير ونعم . ولا أدل على الفوائد الماديةماتذكره المصادر عن ثراء حكام مصر واليمن فى ذلك العصر . ولعل المصالح التجارية والمادية هى التى أملت على حكام عدن من بنى رزيع استمرار الارتباط المذهبى والسياسى مع الفاطميين بمصر فاعترفوا بامامة الحافظ لدين الله ومن خلفه من الأئمة بالقاهرة دون الامام الطيب ابنالآمر الذى تمسك به الصليحيون . وظلت عدن مركز الدعوة حتى نهاية العصر الفاطمى .

هذه الحركة التجارية العالمية أصابها كثير من الانكماش بسبب الحروب الصليبية ، بجانب مقاطعة تجارية بهدف ضرب الاقتصاد المصرى ليسهل للصليبيين بعد ذلك هزيمة مصر عسكريا . وتوقفت بالفعل حركة التجارة بين الشرق والغرب بامتناع سفن التجار الفرنج عن التردد على الاسكندرية التي تكدس فيها ما كانت مصر تصدره من فائض السلعالشرقية بالاضافة الى المنتجات المصرية (٩٠) . وظهر أثر ذلك جليا فى الأزمة النقدية التى تعرضت لها مصر بنفاذ العملة الذهبية والفضية من أسواق مصر كما عبر عنها المقريزى ، فى أحداث عام ٥٦٧ هـ (٩١) وهو العام الذى انتهت فيه الخلافة الفاطمية .

وقد خيل لقادة الصليبيين أنهم نجحوا فى خطتهم بخنق مصر أقتصاديا، الا أن هذه الخطة لم يقدر لها النجاح بسبب تعارض هذه الروح الصليبية مع مصالح الجمهوريات الايطالية التجارية من ناحية ، واصلاحات صلاح الدين الأيوبى المالية بمصر من ناحية أخرى كان أهمها تنفيذ مشروع حملة اليمن فى رجب عام٥٦٩ / فبراير ١١٧٤ لتحقيق عدة أهداف أولها السيطرة على مدخل البحر الأحمر من طرفه الجنوبى ، وبعبارة أخرى اغلاق باب المندب أمام التوسع الصليبى المرتقب فى البحر الأحمر . وثانيا حماية تجار الكارم فى عدن وكذا ضمان الطريق التجارى فيها الى الموانى المصرية فى عيذاب أو القصير كى تحصل مصر فى النهاية على المكوس التى كانت تفرض على تجارة العبور فى تلك الموانى جميعا .

الحــواشى

(١) أنظر كتاب تاريخ اليمن الاسلامى (عصر الولاة) للمؤلف ١٧١ــ ١٧٩ ، القاهرة ١٩٧٥ .

(٢) عمــارة اليمنى : المفيد فى أخبــار صــنعاء وزبيد ص ١١٦ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ابن عبد المجيد : بهجة الزمن فى تاريخ اليمن ص ٥٢ ، القاهرة ١٩٦٥ ، بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ١٦١/٢ ، ليدن ١٩٣٦ .

(٣) الحمادى : كشف أسرار الباطنية ص ٤٣ ، القاهرة ١٩٣٩ ، ابن الربيع : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ٢٤٧ ، القاهرة ١٩٧١ .

(٤) حسين بن فيض الله الهمدانى : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ٢١٨ ، القاهرة ١٩٥٥ .

(5) Al - Hamadani, (Hussain), Letters of Al - Mustansir Billah, p. 313. (Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol, VII, part 2, 1934).

(6) Ibid, p. 312 - 313.

(٧) السجلات المستنصرية : سجل رقم ٦١ ص ٢٠٢ وردت بصدد المــكرم ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٨) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ٥١٥/٣ ـــ ٥١٦ طبعة دار الــكتب المصرية .

(٩) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا ص ١٤٥ــ١٤٦ ، القاهرة ١٩٤٨ .

(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى ٢٧٠/٤ .

(١١) نفس المصدر : دكتور عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ص ٢٢٤ ، القاهرة ١٩٦٨ .

(١٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٣٠/١٠ بيروت ١٩٦٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ٧٢/٥ ، طبعة دار الكتب المصرية . أبو الفــدا : المختصر فى أخبــار البشر ١٥٤/٢ ، القـــاهرة ١٣٢٥ هـ ، الصليحيون : ٩٠ .

(١٣) آخر القاب الصليحى كما وردت فى السجلات : الأمير ، الأجل، الأوحد ، أمير الأمراء ، عمدة الخلافة، شرف المعالى ، تاج الدولة ، سيف الامام ، المظفر فى الدين ، نظام المؤمنين (انظر د. ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ١٩٨ ـــ ١٩٩) .

(١٤) الصليحيون : ملحق ٢ ص ٣٠٢ كذلك لقب الأخ الأوسط بالأمير المكرم ، والأخ الأصغر بالأمير الموفق (نفسه) .

(١٥) الصليحيون : ملحق ٣ ص ٣٠٣ ، ملحق ٤ ص ٣٠٤ .

(١٦) الصليحيون : ملحق ٥ ص ٣٠٥—٣٠٧ .

(١٧) نفس المصدر .

(١٨) عمارة اليمني : المفيد ص ١٢٣ — ١٢٥ قتله سعيد الأحول وأخوه جياش انتقاما لمقتل أبيهما نجاح في زبيد بالسم على يد جارية كان قد أهداها الصليحى له (نفس المصدر : ص ١١٤ ، قرة اليون : ٢٤٦).

(19) B. O. S., 1934, Vol, VII, part 2, p. 319.

(٢٠) عمارة اليمنى ، المفيد ص ١٣٨—١٣٩ ، قرة العيون : ٢٦٣ .

(٢١) القاب المكرم : الملك ، الأجل ، الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، سيف الامام ، المظفر فى الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة وتحيات الأمة ، شرف الايمان ومؤيد الاسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه (انظر السجلات رقم ٥٦ و٥٨ و٥٩) .

(٢٢) سجل رقم ٤١ ص ١٤٢ ، ٥٥ ص ١٨٠ — ١٨١ .

(٢٣) سجل رقم ٤٤ ص ١٥٢ — ١٥٤ .

(٢٤) سجل رقم ٢٠ ص ٧٦ — ٧٨ .

(٢٥) سجل رقم ٥١ ص ١٧٠ .

(٢٦) سجل رقم ٣٤ ص ١٠٦ — ١٢٩ .

(27) B. O. S., 1934. Vol, VII, part 2, p. 312.

(٢٨) سجل رقم ١٦ ص ٦٧—٦٩ ، ٥٣ ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(٢٩) سجل رقم ٥٤ ص ١٧٦ — ١٧٩ .

(٣٠) سجل رقم ٥٠ ص ١٦٧ — ١٦٩ .

(31) B. O. S., 1934. Vol. VII, part 2, p. 321.

(٣٢) ابن سمره : طبقات فقهاء اليمن ص ١٢٢ — ١٢٣ القاهرة ١٩٥٧ . يذكر بعض المؤرخين تاريخا آخر لوفاة المكرم احمد هو عام ٤٨٤هـ (عمارة اليمنى : ١٤٦ ، تاريخ ثغر عدن : ٢/٩) واخذ به سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٧٨ القاهرة ١٩٦٧) ويذكر د. ماجد سنة الوفاة ٤٧٨/١٠٨٥ (ظهور خلافة الفاطميين : ص ٢٠٣) والراجح ماذكره ابن سمره .

(٣٣) تاريخ ثغر عدن : ٩/٢ ، ابن المجاور : ٧٣/١ ٠

(٣٤) المصدر السابق ، المفيد : ١٤٦ ، قرة العيون : ٢٩٥ ٠

(35) B. O. S., 1934. Vol, VII, part 2, p. 366.

(٣٦) سجل رقم ٤٨ ص ١٦١ — ١٦٥ ٠

(٣٧) المفيد : ١٥١ (هو سليمان بن عامر بن سليمان بن عامر بن عبد الله الزواحى ، قتله المفضل بن أبى البركات بالسم ٠ نفسه : ١٣٦)

(٣٨) سجل رقم : ٣٨ ص ١٢٨ — ١٣٤ ٠
B. O. S., 1934. Vol, VII, part 2, p. 319.

(٣٩) د. سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٨٨ ٠

(٤٠) سجل رقم ٣٧ ص ١٢٢ — ١٢٨ ٠

(41) B. O. S., 1934. Vol, VII, part 2, p. 321.

(٤٢) المفيد : ١٥١ ، بهجة الزمن : ٥٧ ، قرة العيون : ٢٦٧ ٠

(٤٣) المفيد : ١٥١ — ١٥٢ ، قرة العيون : ٢٦٧ ٠

(٤٤) المفيد : ١٥٢ — ١٥٣ ، قرة العيون : ٢٦٨ ٠

(٤٥) نفس المصدرين ٠

(٤٦) د. ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ٤٠٨ ٠

(٤٧) الكامل فى التاريخ : ٢٣٧/١٠ ، ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٣٧ تحقيق هنرى ماسيه ، القاهرة ١٩١٩ . ابن خلدون : العبر ٦٦/٤ بولاق ١٢٨٤ هـ ٠

(٤٨) ابن ميسر : تاريخ مص ٣٥ ٠

(٤٩) السجلات المستنصرية رقم ٤٣ ص ١٤٥ — ١٥١ ٠

(٥٠) السجلات المستنصرية رقم ٣٥ ص ١٠٩ — ١١٧ ٠

(٥١) كانت خولان قد قدمت الى مخلاف جعفر قبل وفاة المفضل بن ابى البركات فى جمع كبير بلغ ستة آلاف مقاتل من بطون مختلفة من بنى مران وبنى بحر وبنى منبه ، وبنى رازح وغيرهم ففرقهم المفضل فى الحصون واستحلفهم . ثم انضموا الى ثورة الفقهاء بحصن التعكر حتى وفاة المفضل وتدخل الملكة الحرة لتهدئة الفقهاء . وما لبث أن ظهر المسلم بن الزر من بنى مران واستولى على حصن خدد . ومع ذلك فقد تقرب الى الحرة الملكة بارسال ولديه سليمان وعمران فقربتهما ٠ ثمخلف سليمان أباه فى خدد . ودبرا من بعد أمر الاستيلاء على التعكر وحازه عمران (المفيد ١٦٢ — ١٦٤) ٠

(٥٢) المفيد : ١٦٣ — ١٦٥ كانت الحرة الملكة تستعين بقبيلة جنب من مذجح وعلى رأسها عمرو بن عرفطة الجنبى لاقرار سيادتها أمام خولان (نفس المصدر) .

(٥٣) المفيد : ١٧٨ ، قرة العيون : ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٥٤) المفيد : ١٧٩ ، تاريخ ثغر عدن : ٤١/١ ، قرة العيون : ٣٠٦

(٥٥) المفيد : ١٥٩ ، ١٧٨ صالح الحامد : تاريخ حضرموت ٣٤٨/١ جدة ١٩٦٨ ، قرة العيون : ٣٠٦ .

(٥٦) المفيد : ١٧٩ ، قرة العيون : ٣٠٦ .

(٥٧) المفيد : ١٦٧ .

(٥٨) تاريخ ثغر عدن : ٧١/٢ ، قرة العيون : ٤٧٢ .

(٥٩) المفيد : ١٦٧ .

(٦٠) المفيد : ١٦٩ .

(٦١) المفيد : ١٦٧ .

(٦٢) تاريخ ثغر عدن : ١٣٢/٢ ، بهجة الزمن : ٥٩ .

(٦٣) المفيد : ١٦٧ .

(٦٤) نفس المصدر .

(٦٥) نفس المصدر .

(٦٦) نفس المصدر : ١٦٨ — ١٦٩ ، تاريخ ثغر عدن : ١٣٣/٢ .

(٦٧) المفيد : ١٧٠ ، قرة العيون : ٢٧٥ .

(٦٨) بهجة الزمن : ٥٩ .

(٦٩) المفيد : ١٧٠ — ١٧١ ، بهجة الزمن : ٥٩ ، قرة العيون : ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٧٠) هو عبد الله بن المهدى كانت الحرة تصغى الى رأيه، واستماله سليمان وعمران ابنا الزر بعشرة آلاف دينار وحصنين بأعمالهما ليتحدث الى الملكة فى أمر ابن نجيب الدولة (المفيد : ١٧٤) .

(٧١) بلغت قيمة الجواهر التى فى الهدية أربعون الف دينار (المفيد : ١٧٤) .

(٧٢) المفيد : ١٧١ — ١٧٥ ، قرة العيون : ٢٧٦ — ٢٧٧ .

(٧٣) ابن ميسر : ٧٠ .

(٧٤) د. سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٠٠ .

(٧٥) الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٣/١ ، الصليحيون ملحق رقم ٨ .

(٧٦) د. سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ١٠٠ .

(٧٧) المفيد : ٢٥٦ .

(٧٨) د. ماجد : ظهور خلافة الفاطميين : ٤٣٠ .

(٧٩) د. سرور : المرجع السابق ٣٢ والمصادر الواردة .

(٨٠) المفيد : ١٨١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، قرة العيون : ٢٧٨ .

(٨١) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن ١٢٤ . بعد وفاة الحرة الملكة ظل الحكم بيد الصليحين بعض الوقت بحكم على بن عبد الله الصليحى دون السنة ، وبعده زوجته أسماء بنت محمد الصليحى ، وانضم اليها السلطان كحيل واسمه عبد الله بن محمد . الى أن آل الأمر أخيرا الى المنصور بن المفضل (نفس المصدر : ١٢٣ — ١٢٤) .

(٨٢) المفيد : ١٨٩ — ١٩٠ ، تاريخ ثغر عدن : ٢١٧/٢ ، قرة العيون : ٣٠٩ — ٣١٠ .

(٨٣) المفيد : ١٩٣ ، تاريخ ثغر عدن : ٢١٨/٢ .

(٨٤) المفيد : ١٩٥ .

(٨٥) المفيد : ٢٤٧ ، قرة العيون : ٣٦٢ .

(٨٦) مثل حصار حاكم كيش لعدن وقت الصراع بين حكام عدن من بيت أبى الغارات مسعود وبيت زريع بن العباس انظر المفيد : ١٨٢ — ١٨٥ ، ابن المجاور : ١٢٤/١ ، قرة العيون : ٣٠٦ — ٣٠٩ .

(٨٧) المقريزى : الخطط ١٠٢/١ .

(٨٨) القلقشندى : صبح الأعشى ٥٢٠/٣ .

(89) Goitein : Studies in Islamic History and Institutions, p. 356. Heiden, 1966.

(٩٠) القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ١٣٢ .

(٩١) المقريزي : كتاب النقود القديمة الاسلامية ص٥٩، القاهرة ١٩٣٩ .